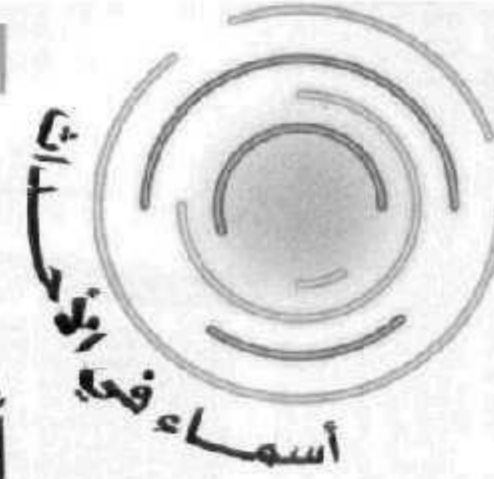




احمد اوغلو

مستشار رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان أحمد داود أوغلو .

كيسنجر العثمانية الجديدة مهندس السياسة الخارجية التركية



اسماء في الأحداث

الملفات التي تولى أوغلو الإشراف عليها، إدارة ملف تحسين العلاقات التركية- السورية، التي ظلت لفترة طويلة متوترة بسبب السعم السوري للأكراد الأتراك بزعامة عبد الله أوجلان، كما قاد أوغلو عمليات الوساطة بين فتح وحماس عدة مرات.

أسس السياسة التركية الجديدة
وضع مستشار رئيس الوزراء أحمد أوغلو خمسة أسس للسياسة الخارجية الجديدة التي تعمل حكومة العدالة والتنمية على اتباعها، تتمثل فيما يلي: الموازنة بين تعزيز الحريات داخل تركيا ومواجهة الأخطار الأمنية التي تهددها. وتمثل تركيا البلد الوحيد الذي نجح في هذه المعادلة، وهي هنا مثال للدول الأخرى. فالدولة التركية لها مركزيتها التاريخية والجغرافية في الشرق الأوسط الكبير الذي يمثل العالم الإسلامي، وكانت تركيا في يوم من أيام عزمها العثماني تسيطر على ثلث القارة الأوروبية.



بيريز وأردوغان في منتدى دافوس

عنوان "العمق الاستراتيجي"، فمن هو أحمد داود أوغلو؟

أحمد داود أوغلو؛ العثماني الجديد
وُلد أحمد داود أوغلو في مدينة كوتيا قلب الأناضول عام 1959، ونشأ في أسرة محافظة، حيث العلماء والفقهاء، متأثراً بجو الأسرة والمدينة التي تعتبر مركز العلامة الفقيه شيخ الطريقة الصوفية جلال الدين الرومي، تخرج من قسم العلوم السياسية في جامعة البوسفور عام 1984، وهي الجامعة التي تدرس باللغة الإنجليزية وتعتبر أهم المؤسسات الجامعية التركية، ثم حصل عام 1985 على الماجستير في الإدارة، ثم على درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية عام 1990، عمل أستاذاً في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا التي لها سمعتها الأكاديمية، ويؤمها الطلاب من مختلف الدول الإسلامية، ثم رئيساً لقسم العلوم السياسية بها إلى عام 1996، ومنذ عودته إلى تركيا 1996 وهو محاضر في عدة جامعات تركية، منها: جامعة مرمرية وجامعة بي كاندت وهي جامعة خاصة مرموقة لها سمعتها العلمية، تولى فيها منصب رئيس قسم العلاقات الدولية، وفي عام 1999 حصل على رتبة الأستاذية (بروفيسور) في العلاقات الدولية، وله عضوية في الكثير من المعاهد السياسية الدولية، صدرت له عدة كتب من أهمها: "العمق الاستراتيجي" الذي يتحدث فيه عن رؤية استراتيجية لوضع تركيا وعلاقتها الإقليمية والدولية، وكذلك كتاب "الأزمة العالمية" الذي ترجم إلى عشر لغات، ويتحدث فيه عن وضع العالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، يتقن إلى جوار التركية الألمانية والإنجليزية، ويفهم العربية ويقرا بها أكثر من التكلم، وهو مستشار رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان، وسفير فوق العادة، ويعتبر بحق مهندس السياسة الخارجية التركية من خارج الإطار الدبلوماسي، ومنذ أن سطع نجمه منذ تولى العدالة والتنمية الحكم تولى عشرات الملفات العلنية والسرية التي يقودها بصلاحيات مطلقة وبنقطة كاملة من رئيس الوزراء التركي أردوغان، فقد كان أول

المجلة: د. أحمد البرصان
استضافت الرياض في الشهر الجاري الرئيس التركي عبد الله غل الذي ترتبط بلاده بعلاقات استراتيجية قوية مع السعودية، والتي زارها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز زيارة تاريخية في 7 أغسطس 2006 عكست قوة العلاقة بين البلدين، وقبل زيارة غل بأيام كان الدكتور أحمد داود أوغلو في ضيافة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، حيث يعرف أوغلو من قبل الباحثين والمفكرين كمفكر استراتيجي إسلامي، ويعد بالنسبة لتركيا كيسنجر الباب العالي لما يتميز به من رؤية سياسية استراتيجية دقيقة. يتردد اسم أحمد داود أوغلو في وسائل الإعلام العربية والعالمية، وفي تركيا، بسبب نشاطه السياسي كمستشار للحكومة التركية في القضايا الدولية، وينسب إلى أوغلو الانفتاح الذي قامت به تركيا على جيرانها من الدول العربية والإسلامية، وخاصة في عهد حكومة العدالة والتنمية التي وصلت للحكم في عام 2003، بعد انتخابات حرة ونزيهة فاز فيها حزب العدالة والتنمية بالمرتبة الأولى في الحصول على المقاعد في مجلس النواب التركي. ويلاحظ أنه للمرة الأولى يحدث تقارب حقيقي بين تركيا وكل من سوريا وإيران، وللمرة الأولى أيضا تتصدع الشراكة الاستراتيجية بين أنقرة وواشنطن. وتهتز العلاقات التركية مع إسرائيل بعمق، ثم تتقدم تركيا بجدية للانضمام للاتحاد الأوروبي. هذه التحولات كانت مؤشرات على أن السياسة الخارجية التركية تصاغ من جديد وفقا لأسس مختلفة، ولكن لا تقرا التحولات في السياسة الخارجية التركية الجديدة في ضوء التطورات العراقية والأمريكية فحسب، فهذا مرتبط بصورة وثيقة برؤية جديدة حملها حزب العدالة والتنمية منذ وصوله إلى السلطة، وترتبط هذه الرؤية التركية الجديدة أكثر، باسم البروفيسور أحمد داود أوغلو مستشار رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان، وأستاذ العلوم السياسية، وصاحب مركز "علم وصنعت" للدراسات الاستراتيجية، وتجلت ملامح هذه الرؤية في كتابه الذي صدر قبل سنة من وصول الحزب إلى السلطة، ويحمل



خادم الحرمين
الشريفين يستقبل
الرئيس التركي
عبدالله جل في
زيارته الأخيرة
للسعودية

أردوغان ورئيس الجمهورية عبد الله جل.

العالم الإسلامي العمق الاستراتيجي لتركيا

قامت السياسة الخارجية التركية، منذ تأسيس الجمهورية عام 1923، على توجه أحادي نحو الغرب، وهو ما اتفق مع سياسة الثورة الكمالية، ومن ثم كانت القطيعة التامة، بل والعداء أيضاً، مع دول الجوار العربي والإسلامي. لدرجة أن أتاتورك غير الحروف التي كتبت بها اللغة التركية من العربية إلى اللاتينية، ونسب القبة بدلاً من الطربوش، وغيرها من وسائل التغريب. ثم أصبحت تركيا أثناء الحرب الباردة طرفاً في الانسقاطات الدولية، وخاصة بعد عضويتها في حلف الناتو ودورها في قيادة حلف بغداد، ودورها ضالع أيضاً في الحرب الباردة، ولم تنكسر هذه السياسة الأحادية إلا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، بانفتاحها على العالم التركي في القوقاز وآسيا الوسطى. وتركيا التي كانت دولة مواجهة في الحرب العالمية الأولى تحولت إلى دولة تخدم الغرب، الجيش التركي يدافع عن الغرب من خلا الناتو، ولكن عندما تطلب الانضمام للاتحاد الأوروبي يرفض طلبها، أي أن الدم التركي مطلوب للدفاع عن أوروبا ولكن عندما يريد الانضمام إلى الاتحاد يرفض لأنه صاحب الجنور الإسلامية، ويقبت تركيا في صراع حضاري داخلي، ويأتي حزب العدالة والتنمية ليتبنى المصالحة مع الذات، وأن تركيا دولة إسلامية كانت قائدة العالم الإسلامي لخمس قرون، وأن هذا العالم الذي تنتمي له حضارياً هو العمق الاستراتيجي لها. ونجد أن وضع تركيا الجيوستراتيجي جعلها ملتقى محاور سياسية واستراتيجية مختلفة: فمحور (الشرق-الغرب) أثناء الحرب الباردة كان يجتاز تركيا بشكل عمودي، ومحور (الشمال-الجنوب) الذي قسم الدول إلى متطورة وثامية اعتباراً من الثمانينات يمر من تركيا بشكل أفقي، كما أن محور (صراع الحضارات) لها تنتهون يمر من تركيا بشكل عمودي، أضف إلى هذه المحاور محور (الإسلام-المسيحية) الذي تتوسطه تركيا على الأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية. وقد غير أحمد داود أوغلو عن أهمية

أوغلو كاستنجر الأتراك

أحمد أوغلو أستاذ العلاقات الدولية في انفتاحه على دول الجوار رغم تناقضاتها، يذكرنا بحقبة وزير الخارجية الأمريكية هنري كيسنجر، الذي ترك بصماته على السياسة الخارجية الأمريكية لسنتين طويلة، فقد فتح باب الصين للولايات المتحدة، وزيارة نيكسون إلى بكين 1972، كما تعاون معها استراتيجياً في احتواء الاتحاد السوفييتي السابق، وداود أوغلو هو اليوم مهندس السياسة الخارجية ورجل الظل، كما يقال في أزفة الخارجية التركية، الذي يرجح دائماً لقب "الخوجا" أي المعلم، فليس سهلاً أن يقوم بفتح القنوات المتناقضة وتحقيق الموازنة بين إيران وسوريا، وإسرائيل وحماس والاتحاد الأوروبي وحزب الله والعالم العربي وأمريكا، ليس هذا بالأمر السهل، ولكنها خبرة رجل مثل داود أوغلو، درس ودرس العلاقات الدولية أغلب عمره، وربط بين النظرية والتطبيق.

ويستخدم أوغلو المصطلحات والتعابير الاستراتيجية مثل «نظرية الدومينو»، حيث يعتقد أن الأحداث التي تجري في الشرق الأوسط حالياً ستجر خلفها أحداثاً وتدابير أخرى مترتبة عليها، ما دفع العديد من الصحافيين الأتراك إلى التناقص في ما بينهم على رسم سيناريوهات متعددة حول نظرية الدومينو، فالحرب الأخيرة على حماس في غزة لا شك ستجر خلفها تطورات مهمة، وإن اختراق معسكر الاعتدال والممانعة من خلال علاقات تركية مع أعضاء هذه المعسكرات سيدفع بشرق جديد، مثله موقف الرئيس أردوغان في دافوس، في أن انتقاد إسرائيل ليس صعباً عندما تتوافر الإرادة لزعيم يحظى بشعبية شعبية، بل إن الصحافي الأمريكي ديفيد إغناطيوس الذي أدار جلسة الحوار في دافوس، التي كان من ضمن حضورها شعوم بيريس وعمرو موسى والأمين العام للأمم المتحدة وأردوغان، والذي كان متواطئاً مع بيريس في إدارته للجلسة، كتب في الواشنطن بوست أنه يجب متابعة ما يقوله داود أوغلو وأخذه على محمل الجد، لأنه يمثل توجهات واستراتيجية حكومة العدالة والتنمية، من خلال قربه من رئيس الوزراء طيب رجب

أما الأساس الثاني فهو حل المشكلات مع دول الجوار الجغرافي لتركيا، وهذا أخرجها من كونها بلداً طرفاً له مشكلات متواصلة مع جيرانه، وقد نجحت تركيا في ذلك مع سوريا وإيران واليونان وروسيا، وتقوم حالياً بترميم علاقاتها مع أرمينيا، التي تسعى هي الأخرى إلى تجاوز العقبة التاريخية مع تركيا، وكان أوغلو وراء زيارة الرئيس التركي عبدالله جل إلى أرمينيا، التي اعتبرت زيارة تاريخية، والأساس الثالث يقوم على سياسة خارجية متعددة الأبعاد مرتبطة بموقع تركيا على تقاطع طرق القوى والمناطق الحيوية في العالم: "آسيا-أوروبا"، "إسلام-غرب"، "أوراسيا-الأطلسي"، "شمال-جنوب"، "أمريكا-أوروبا". وفي هذا الإطار، ليست علاقات تركيا مع أي طرف بديلاً عن العلاقات مع طرف آخر، بل تعتبر كل علاقة مكمل للآخرى. والرابع هو تطوير أسلوب دبلوماسي جديد في السياسة الخارجية.

فتركيا ليست جسراً يتم العبور عليه بين الشرق الإسلامي والغرب، بل هي "مركز" المنطقة وتتفاعل مع جيرانها إقليمياً ودولياً، والأساس الخامس الانتقال إلى دبلوماسية منتظمة ومتواصلة بالتواصل مع عدد كبير من المسؤولين على مختلف المستويات في دول العالم في مختلف القارات.

سياسة العدالة والتنمية التي هندسها ووضع قواعدها أوغلو الخروج من العقم العلماني المفتوح كلياً على الغرب، والانفتاح على الشرق وجميع المنظمات الإقليمية والدولية، ومع عام 2004، عام مضاعفة التأثير التركي في المؤسسات الدولية (منظمة المؤتمر الإسلامي، حلف شمال الأطلسي، مؤسسة اجتماعات دول الجوار الجغرافي للعراق) وإظهار تركيا كقوة إقليمية مرشحة للقيام بدور عالمي. أما عام 2005 فقد خصصته تركيا مع أفريقيا تم توجيه لتعزيز العلاقات مع البلقان والشرق الأوسط والقوقاز والاتحاد الأوروبي، وفي العام الأخير كانت تركيا تقوم بمهمة الوساطة بين الفصائل الفلسطينية، وبين سوريا وإسرائيل.



أسماء في الأحداث

هذا العمق تاريخيا بقوله في مقال كتبه في إحدى الصحف التركية: "إن قطع تركيا علاقات عمرها 500 عام مع الشرق، واتباعها سياسات غربية خلال الـ 50 عاما الأخيرة، كان أحد أسباب عزلتها و تراجع دورها". وعندما تولى نجم الدين أريكان، الذي كان قادة حزب العدالة والتنمية من أتباعه، توجه إلى زيارة الدول الإسلامية وحاول بناء تجمع من كبرى الدول الإسلامية للتعاون الاقتصادي والثقافي والسياسي، كان ذلك عام 1996 قبل أن يقوم الجيش بانقلاب أبيض عليه بعد سنة من توليه رئاسة الوزارة.

العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية

ويعتبر كتاب أوغلو الذي صدر قبل ثلاثة أعوام معبرا عن رؤيته للعالم والتطورات الدولية، وقد ترجم الكتاب عام 2006 للغة العربية، تناول في الفصول الأربعة الأولى منه بالتحليل والنقد النظريات التي طرحت بعد الحرب الباردة مع انهيار الاتحاد السوفييتي، والأربعة التالية عن الرؤية الإسلامية للعالم كروية بديلة، وإمكانات تحقيق هذه الرؤية على أرض الواقع الدولي.

اعتبر أوغلو رؤية الغرب للعالم محاولة لمصادرة مستقبله باسم أيديولوجيات مصطنعة، كأيديولوجية "نهاية التاريخ" التي ابتدعها فرانكس فوكوياما، عالم السياسة الأمريكي، ويرى أوغلو أن هذه النظرية تعيد صياغة نظريات تعود للقرن الـ19 عبر عنها "هيجل وماركس"، وتتحدث عن أن مسار التاريخ هو مسار خطي متصاعد، وهي ظاهرة من ظواهر العالم الغربي نكتسى ثوبا عصريا، كما هو الحال مع نظرية نهاية الأيديولوجيا التي سادت فترة الستينيات، وقصد منها تبرير الوضع الراهن لدمج المفكرين مع أسلوب الحياة الأمريكية، وثبت أنها غير علمية.

إن نهاية التاريخ تحييز رؤية التاريخ البشري من الناحية الغربية، وتجاهل المساهمات الحضارية الأخرى، وهي في الواقع وسيلة دفاعية للنسخة الحديثة الخاصة بالحضارة الغربية ضد التحديات التي تواجهها. إن ما يجري في العالم بعد سقوط الاشتراكية هو تعبير عن تحول حضاري أكثر شمولاً واتساعاً من مجرد قراءته

كنصر نهائي للتقاليد الديمقراطية الليبرالية، وللاقتصاد الرأسمالي، ونظريات النهاية ذات الطابع الحداثي تحاول نفي الدين وإعلان نهايته، بينما الواقع يشير إلى عكس ذلك.

ويرى أوغلو أننا بإزاء تحول حضاري واسع ولنسأله بصدد "نهاية للتاريخ"، ومن ثم فهذا التحول له أبعاده السياسية التي تتجه لإعادة تشكيل النظام العالمي القائم نحو نظام عالمي جديد، فبعد نهاية الحرب الباردة شهد النظام العالمي احتكارا للولايات المتحدة للقوة فيه، ويرى حاليا بزوغا لقوى جديدة في أوروبا وآسيا تحاول منازعة أمريكا احتكارها للنظام العالمي، والمرحلة الثالثة محاولة بناء نظام لتوازن القوى بحيث يكون النظام العالمي أكثر توازنا في تمثيله للقوى الدولية المختلفة في مجلس الأمن والمنتديات والمؤسسات الدولية الأخرى.

وهي هذه المرحلة تسعى أمريكا للحفاظ على تفوقها واحتكارها عبر تماسك مركز الأطلسي، عن طريق تعزيز قدراته الاقتصادية والتلاعب بالأسس الداخلية للمراكز الحضارية البديلة، وتأسيس أليات دفاعية وتحالفات إقليمية في مناطق متفرقة من العالم، ويتوقع أوغلو أن يؤدي نشوء توازن في النظام العالمي إلى انتقال جديد للمركز الحضاري، بيد أن الأزمة الحضارية التي تواجه إنسان اليوم أكثر شمولية من أن يحلها انتقال المركز الحضاري القائم إلى مركز جديد، لأنها أزمة تلف النظام العالمي بأكمله.

الغرب والبيدلة حضاري إسلامي

ويذهب أوغلو في كتابه إلى أن الإسلام هو القادر على أن يطرح بديلا للحداثة الغربية، فصمود الإسلام أمام محاولات القضاء عليه يشير إلى قوة وتماسك الرؤية التي يقدمها للعالم، وأنها تمثل بديلا للرؤية الحضارية الغربية. فالإدراك الذاتي للإسلام من جانب المسلمين هو شرط تحقق إسلامهم، وهو ملازم للإنسان ما بقي حيا، فصمود أهل البؤسة راجع لذلك، وحركات الأحياء الإسلامي هي نوع من تجديد الإدراك الذاتي للإسلام.

وهذا الإدراك هو الذي يحدد حرية الإنسان وأمنه، فالحرية في المنظور الإسلامي هي تعبير عن نضج روعي يمكن الإنسان من أن يتحكم في انانيته الذاتية، فالحرية ليست موضوعا

من موضوعات القوة بقدر ما هي موضوع للوعي بالذات ومعرفة النفس، وكذلك الأمن يكمن في شخصية الإنسان ووعيه الذاتي.

وينطلق النموذج الإسلامي من جعل القيم حاكمة على الواقع ومؤسسانه، فهي مطلقة ومتجاوزة للزمان والمكان، ولذا فالنظريات الاجتماعية الإسلامية لا يمكنها أن تتجاوز القيم الإسلامية ولا أن تؤسس نماذج اجتماعية وقانونية ضدها، وهكذا تظل القيم الإسلامية هي معيار الشرعية لأي مؤسسات أو نظم أو قواعد.

ويعبر النموذج الإسلامي عن الأصالة والتعددية، فتصوره للتاريخ والزمن يؤكد الطبيعة الدورية وليست الخطية الأحادية، ومن هنا أهمية التجديد وقدرة الحضارة الإسلامية على استعادة مكانتها، فالسيادة الحقيقية لا تنطلق من التفوق المادي، وإنما من التفوق القيمي والروحي.

ويشير المؤلف إلى أن خلفية المواجهة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي راجعة إلى تطور داخل المركز الحضاري الإسلامي نحو بناء مركز مستقل عن الغرب، بظهور حركات الأحياء الإسلامي وتنامي وعي متزايد لدى الجماهير الإسلامية بضرورة العودة إلى الإسلام، ويضرب مثلا لذلك بتركيا التي يتنامى العامل الإسلامي بقوة في سياستها الداخلية والخارجية، وهكذا يضعنا المؤلف في سياق استراتيجي واسع لفهم ما يجري من أحداث على الساحة العالمية، حيث يهدف الغرب إلى منع قيام بديل حضاري إسلامي يمكن أن يمثل بديلا محتملا للمركز الحضاري الغربي، الذي يواجه أزمة شاملة لا يمكن حلها من داخله.

مسألة الحرب على العراق

ويرى أوغلو أن أحداث 11 سبتمبر 2001 نقلت العالم إلى مرحلة جديدة، وبدلا من خطاب الحرية الذي ظهر بعد الحرب الباردة حل خطاب الأمن الذي تجسد في حربي أفغانستان والعراق، ويقول إن ما بعد الأحداث تجسد في ثلاث مراحل المرحلة النفسية وجسدتها الحرب على أفغانستان، وكانت الإدارة الأمريكية والشعب الأمريكي إن لم يكن العالم الغربي في حالة صدمة نفسية، والمرحلة الاستراتيجية بالحرب على العراق واحتلاله، ومن ثم مرحلة تأسيس نظام جديد التي قد تستمر تبعا للولايات المتحدة ما بين 10 و15 عاما، ولكن يظهر أن الأزمة الاقتصادية العالمية قد عجلت في انهيار هذا النظام نحو الشرق بدلا من الغرب.

كانت تركيا تتقدم على طريق الإصلاح السياسي، وكان لا بد لكي تخرج رابحة أن تتبع سياسة خارجية مؤثرة وديناميكية ومتعددة الأبعاد، ترسي موقعا مركزيا لتركيا في الساحة الدولية. وكان أمام تركيا ثلاث عقبات: الإرهاب، وعدم الاستقرار السياسي، والأزمات الاقتصادية.

ويرى أحمد أوغلو أن تركيا نجحت في استيعاب هذه العقبات وتجاوزها، وفي اتباع سياسة خارجية مرنة، وينبغي أن يكون رفض البرلمان التركي المشاركة في الحرب، ومن ثم موافقته بعد احتلال العراق على إرسال قوات إلى هناك، ترددا وعدم وجود قرار حاسم، بل إن ذلك كان "قرارا على أعلى درجة من الوعي"، حسب رايه، فأثرت عارضة أمريكا أولا، ثم نجحت في ترميم العلاقات معها، ونجحت في استمالة دعم الاتحاد الأوروبي ودول الجوار العراقي، فأصبحت المركز في الإقليم وتعززت عبقرية المكان، وطوق ذلك تصالحت تركيا مع تاريخها، فالعثماني الجديد صاحب الرؤية الاستراتيجية أعاد لتركيا دورها العثماني، وإن كان في مرحلته الأولى ■



الوساطة التركية لبدء المفاوضات الاسرائيلية العربية